

للخاصة من الناس والعامة

الطبعة الأولى

سنة ١٤١٨ هـ

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
رقم الايداع : (٦٥٦/٥/١٩٩٧)

رقم التصنيف: ١ر٢١٥

المؤلف ومن هو في حكمه : عبد الله بن الشيخ ابو بكر الملا آل الواعظ

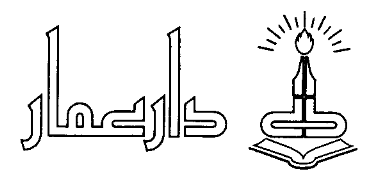
عنوان الكتاب : النصيحة العامة للخاصة من الناس والعامة

الموضوع الرئيسي : ١- الديانات
٢- االوعظ والارشاد

رقم الايداع : (٦٥٦/٥/١٩٩٧)

بيانات النشر : عمان : دار عمار

★ تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



دار عمار - عمان - الأردن - سوق البتراء - قرب الجامع الحسيني

ص.ب : ٩٢١٦٩١ تلفاكس : ٦٥٢٤٣٧

النصيحة العامة

للخاصة من الناس والعامة

تأليف

الشيخ عبدالله ابن الشيخ أبي بكر الملا آل الواعظ

المتوفى سنة ١٣٠٩هـ

رحمه الله رحمة واسعة

تحقيق

يحيى محمد أبو بكر الملا

دار عمار

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

بقلم الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ أبو بكر الملا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، سيدنا محمد الذي بَلَّغَ رسالةَ ربه، ونصحَ الأمة، وجاهدَ في الله حق جهاده، وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النورَ الذي أنزل معه، فكانوا من المفلحين. وبعد:

فإن الدعوةَ إلى الله، والنُّصْحُ لعباده، من أعظم الواجبات، وأفضل القربات، لأنها تدعو الخَلْقَ إلى عبادةِ خالقهم ورازقهم. وهي دعوةُ الرسل إلى أممهم، كما قال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾.

فكلُّ رسولٍ دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأبلغهم رسالةَ ربه بنصحٍ وأمانة. من ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - ما جاء في القرآن الكريم في قصة نوح عليه السلام حيث قال لقومه: ﴿**يا قوم اعبدوا الله**

مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ إلى قوله: **﴿أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾**، وفي قصة هود عليه السلام إذ قال لقومه: **﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾** إلى قوله: **﴿أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾**، وما أمرَ الله به خاتم أنبيائه عليه الصلاة والسلام بقوله: **﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾**.

ولأهمية الدعوة وعظم شأنها، أَوْلَى العلماءُ والدعاة المصلحون كل اهتمامهم، وبذلوا قصارى جهدهم، لتحقيق أهدافها، وبلوغ غاياتها، تأسياً بالأنبياء والرسل، وعملاً بقول الحق تبارك وتعالى: **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾**، وقول رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجورِ مَنْ تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا".

وانطلاقاً من هذا المفهوم، ولما تقتضيه الحاجة إلى الدعوة والتذكير في كل زمان ومكان، أجاب العالم العلامة والبحر

الفهامة/ الشيخ عبد الله بن الشيخ أبو بكر الملا آل الواعظ مَن استنصحهُ بهذه الرسالة وسماها: *"النصيحة العامة للخاصة من الناس والعامة"*، ضمّنها -رحمه الله- ما يجبُ على المكلف فِعْلهُ من العبادات، مع بيانِ فضلها والحثِّ على أدائها، بما في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، والتحدث بالأسلوب الأمثل المحبب إلى النفس ليكون للدعوة أثرها الإيجابي.

وقد أورد المؤلف ما نقل عن المشايخ الثقات من النصائح والمواعظ والحكم، وما كان عليه السلف الصالح - رضوان الله عليهم- من الجد والاجتهاد والمثابرة في طاعة الله عز وجل والتسابق في هذا الميدان، يرجون من الله المغفرة والرضوان، قاصداً بذلك شحذ الهمم، وتحريك القلوب للسير على نهجهم، وسلوك مسلكهم، واقتفاء أثرهم.

فهي بحق رسالة وافية في بابها، شاملة في مضمونها، جديرة بالقراءة والاطلاع، لما اشتملت عليه من فوائد جمة، فجزى الله مؤلفها وناشرها خير الجزاء.

وختاما أسأل الله العليَّ القدير أن ينفع بها القارئ والمستمع، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، فهو

سبحانه وليٌّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حرر في ١٧ شعبان سنة ١٤١٧هـ

كتبه

أحمد بن عبد الله أبو بكر



مقدمـــة التحقيـــق

الحمـد لله الـذي أعزنـا بالإســلام، وشــرفنا بــالقرآن، وجعلنا خير أمة أخرجة للناس، قال جلَّ ذكره: ﴿**كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهـون عـن المنكـر وتؤمنون با لله**﴾.

وأصلي وأسلم علـى سيدنا محمـد القـائل: "الداعـي إلى الخير كفاعلهِ"، وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه أجمعين، صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ من أهــم أهـداف الإسـلام الأساسـية إقامـة المجتمـع المسلم السليم، فلذا حرص كـل الحـرص علـى تربيـة الأفـراد والجماعات تربية فريـدة في نوعهـا، فهـي لا تختـص بالعبـادة وتَذَرُ السـلوكَ، بـل يسـيران معـا جنبـاً إلى جنـب، وكـذا لا تشتغل بالقول دون العمل والتطبيق.

ولهذا كان لعلماء الإسلام عنايـة تامـة في إرشـاد النـاس ومناصحتهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

ومن هؤلاء العلماء الذين نفع ا لله بهــم وكـان لهـم دور

بارز في الإرشاد والدلالة على الله: الشيخ عبد الله بن الشيخ أبو بكر الملا آل الواعظ.

وهذه رسالة من رسائله والمسماة (النصيحة العامة للخاصة من الناس والعامة) والتي لخصها من رسالة (الوصية) لداعية متقدم وهو الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، وهي جزء من جهود أولئك العلماء الأفذاذ.

وفي زمننا الحاضر حيث طغت المادة بجميع مقاييسها وعاش الكثير من الناس في سعي دائم وراءها دون تفكير، مع هذا الوضع السائد نحن أحوج ما نكون إلى مثل هذه النصائح والوصايا التي تغذي الروح وتُذكِّرنا بالله لنعيدَ حسابنا ونحدد غايتنا ونعلم أن هذه الحياة بما فيها ينبغي أن تكون وسيلة للآخرة وليست هي غاية في حد ذاتها.

ولأجل ذلك تحركت همة بعض أفراد أسرة المؤلف في إخراج هذه الرسالة ونشرها بين الناس ليعمَّ نفعها وليكون من المشاركين في الدعوة إلى الله، حيث أن الدالَّ على الخير كفاعله. فنسأله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

وقد اعتمدت في إخراج هذه النسخة على نسختين بخط

المؤلف. كما قمت بوضع ترجمة موجزة للمؤلـف، وتخريـج الآيات والأحاديث، وإرجاع بعض الحكايات إلى مصادرها، ووضع عناوين جانبية بين معكوفتين. وصلى الله على خـير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبـــه

يحيى بن محمد بن أبي بكر الملا

ترجمة موجزة للمؤلف

اسمه ونسبه:

هو العلامة الشيخ عبد الله ابن خاتمة المتأخِّرين الشيخ أبو بكر ابن المفتي ثم القاضي الشيخ محمد ابن العلامة الشيخ عمر ابن الشيخ محمد ابن الشيخ عمر ابن العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن العلامة الشيخ محمد ابن المفتي والقاضي الشيخ علي ابن الشيخ حسين آل الواعظ.

والواعظ نسبة إلى بيت الواعظ. قدم جده الأعلى الشيخ علي ابن الشيخ حسين الواعظ إلى الأحساء من عينتاب، التابعة للواء حلب آنذاك، في القرن العاشر للإفتاء والتدريس، واشتهرت ذريته بالأحساء باسم *أسرة الملا*.

لقبه وكنيته:

لقبه (عماد الدين)، وكنيته (أبو البركات)، لهذا أشار إليه تلميذه الشيخ عبد الله بن علي العبد القادر[1] في

---

(١) الشيخ عبد الله بن علي العبد القادر: ولد سنة ١٢٧٠هـ في بلدة المبرز من الأحساء، وتوفي -رحمه الله- في الليلة الرابعة من جمادى الأولى سنة ١٣٤٤هـ. (شعراء هجر من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر،

قصيدته التي يمدحه فيها، حيث قال فيها:

عِمَــادُ الدِّيــنِ وَالدُّنْيَــا جَمِيْعــــاً
وَهَـلْ بَيْـتٌ يَقُــومُ بِـلاَ عِمَـــادِ

أَبُـو البَـرَكَاتِ عَبْـدُ اللهِ دَامَـــتْ
عَلَـى نَعْمَائِــهِ دِيــم العِهَـــادِ

أَبُــو بَكْــرٍ أَبُــوهُ أَبُــو المَعَالِــــي
بَنِــي المُــلاَّ رِجَــالُ الاجْتِهَـــادِ

لَقَـدْ حَـازَتْ بِهِـمْ هَجْـراً فَخَـاراً
عَلَـى الدُّنْيَـا قُـرَاهَـا وَالبَـــوَادِي

مولده:

ولد الشيخ عبد الله بالأحساء في حي الكوت سنة ١٢٤٣هـ، في بيت اشتهرت أسرته بأنها أسرة كريمة، توارثت العلم والزهد والورع كابراً عن كابر، فهو العلامة الجليل، وأبوه خاتمة المتأخرين علماً وورعاً وزهداً، صاحب التآليف العديدة. وجَدُّه مفتي المشرق ثم القاضي الشيخ

تأليف الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، ص: ٢٠٩-٢٧٧).

محمد بن عمر الذي أذن له شيوخه بالإفتاء والتدريس في وقت مبكر، وكان إماماً عالماً فاضلاً، عالي الهمة، دمث الأخلاق، محباً للسنة، اشتهرت فضائله في الأحساء وخارجها، فهو من العلماء وابن أبناء العلماء.

نشأته وطلبه للعلم:

في هذا البيت نشأ الشيخ وترعرع. فاشتغل من صغره بطلب العلم، فحفظ القرآن في سن مبكرة، ثم حفظ بعض المتون في مختلف العلوم وفق المنهج الدراسي السائد آنذاك. ومنها منظومة والده في الفقه الحنفي المسماة بـ "تحفة الطلاب" وعدد أبياتها ٢٠٥٠ ألفين مع خمسين بيتاً، وألفية ابن مالك في النحو وغيرها.

ثم شرع في تحصيل العلوم النقلية والعقلية، من تفسير وحديث وفقه ونحو وبلاغة وأدب وغير ذلك، على والده وعلى غيره من تلامذة والده وعلماء بلده، حتى برع في هذه العلوم وفاق أقرانه، وغدا من أفاضل أعيان عصره.

سافر الشيخ في صحبة والده إلى الحجاز لأداء مناسك الحج، وأثناء إقامته بها كان يأخذ عن علمائها والوافدين إليها.

وفي عام ١٢٦٩هـ سافر في صحبة والده إلى الحج، وبعد قضاء مناسك الحج مرض والده وتوفي في شهر صفر سنة ١٢٧٠هـ، فمكث بعد وفاة والده بمكة وأخذ عن علمائها المقيمين بها والوافدين إليها، وأجازه العلماء على ما تلقاه منهم بتدريس للعلوم من منطوق ومفهوم.

والحاصل: أنه ما زال في طلب العلم حتى انتقل والده إلى رحمة الله وهو إذ ذاك ابن سبع وعشرين سنة.

وفي عام ١٢٧١ هـ رجع الشيخ إلى الأحساء، فقام مقام والده خير قيام، وجاء إليه الطلبة يهرعون، فدرَّس كتباً معتبرة، مطولة ومختصرة. فقد كان في التقرير، ليس له نظير، ولديه القدرة التامة في تقريب المسائل إلى الأذهان بأسلوب لطيف، لا يتلعثم ولا يتلجلج في بحثه وتقريره. تولى النظارة والتدريس بالمدرسة البكرية[1]، وناظراً ومدرساً بمدرسة

---

(١) تأسست المدرسة البكرية بالأحساء بحي الكوت سنة ١١٨٣هـ على يد مؤسسها وموقفها الشيخ بكر بن الملا أحمد. واشتهرت باسم المدرسة البكرية نسبة إلى موقفها، كما عرفت بالمدرسة الشلهوبية نسبة إلى أول ناظر ومدرس بها وهو العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن شلهوب الحنفي الأحسائي، ثم تولى نظارة هذه المدرسة والتدريس بها الشيخ أبو بكر بن الشيخ محمد بن عمر الملا آل الواعظ ثم ابنه الشيخ عبد الله، ولا تزال هذه المدرسة في يد أحفاد الشيخ عبد الله.

القبة[١]، وهي المدرسة المشهورة بمدرسة الملا.

كما أسس الشيخ المدرسة الجديدة[٢] والمسجد الجديد، وقام بتأسيس الرباط[٣] المعروف بالأحساء *برباط آل الشيخ أبو بكر*.

وكانت له عناية واهتمام كثير بطلبة العلم، كثير الإكرام لهم، والإنعام عليهم، يقوم بخدمتهم، ويعتني بشؤونهم، ليهيئ لهم سبيل التعلم.

حسده بعض الجهال على ما أتاه الله من العلم ونفع العباد، فوشوا به عند والي نجد صالح باشا، فحمل الوالي في نفسه على الشيخ، فما كانت إلا مدة يسيرة، حتى ظهر

---

(١) مدرسة القبة: تأسست مدرسة القبة بالأحساء في حي الكوت سنة ١٠١٩هـ على يد مؤسسها وموقفها الباشا علي البريكي الذي أسند النظارة والتدريس بهذه المدرسة للعلامة الشيخ محمد بن علي آل الواعظ جد أسرة الملا.

(٢) المدرسة الجديدة: أسسها الشيخ عبد الله مع المسجد الجديد بمساعدة أهل الخير، وكان الشيخ عبد الله أول مدرس وناظر على هذه المدرسة ومن بعده أبناؤه وأحفاده.

(٣) الرباط: وهو عبارة عن مدرسة وسكن للطلاب القادمين من خارج الأحساء، وقد قام الشيخ بنفسه وبمساعدة الحاج عبد الله وسليمان ابني المرحوم حمد بن عيسى ببناء الرباط المذكور.

الحق وثبتت نزاهة الشيخ رحمه الله وعلو مرتبته فكتب الوالي إليه كتابا يتضمن اعتذاره، وضمنه هذين البيتين:

لِعَبْدِ الله نُورٌ لَيْسَ يُطْفَى ... تُضِيءُ بِهِ اللَيَالِي المُدْلَهِمَّة
يُرِيْدُ الحَاسِدُونَ لِيُطْفِئُوهُ ... وَيَأْبَى الله إلا أَنْ يُتِمَّه

صفاته:

كان الشيخ - رحمه الله- زاهداً صابراً مثابراً على العبادة والعفاف، أوقاته معمورة بالطاعات، من تدريس أول النهار إلى الضحوة الكبرى، وبعد صلاة الظهر إلى قرب وقت صلاة العصر، وبعدها إلى قرب المغرب، مستديما في هذه الأوقات، ما عدا يوم الجمعة ويوم الثلاثاء، فيدرس آخر النهار منهما كما هي عادة والده.

وكان محافظاً على آداب الشريعة، متمسكاً بالسنة النبوية قولا وفعلا، ذا زهد وتعفف وورع ودين متين، فهو خيرُ خلفٍ لمن مضى من آبائه السالفين. ومن ورعه وتعففه أنه لا يجعل غذاء جسمه إلا من غلات عقارات ملكه، وأما ما كان تحت يده من غلات عقارات الأوقاف فيعزلها في موضع، وتباع ويصرفها بعد عمارتها في مصارفها، وما فضل بعد ذلك يصرفه فيما ينوبه من الأمور المباحات.

وهذا شأن العلماء المخلصين.

وكانت له اليد الطولى في تعليم العلوم الدينية، مسموع الكلمة، متصفا بعلو الهمة ومكارم الأخلاق، يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، ولا تدفعه عن الحق الصوارم. كم صدع بالحق وأعلنه، ديدنهُ نصحُ المسلمين، وإرشاد الناس إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة. حصلت له شهرة بالعلم والصلاح والزهد والعفاف، وله كرامات كثيرة يتداولها أهل بلده مستفيضة عندهم.

تلاميذه:

لقد تتلمذ على الشيخ وانتفع به خلق كثير من الأحساء ومن غيرها. فمنهم على سبيل المثال:

١- ابن أخيه العلامة الشيخ أبو بكر ابن الشيخ محمد ابن أبي بكر الملا المشهور بأبي حنيفة الأصغر وذلك لتمكنه في مذهب الإمام أبي حنيفة واعتنائه بأدلة المحققين.

٢- ابنه البار القائم مقامه العلامة الشيخ أبو بكر ابن الشيخ عبد الله.

٣- العلامة الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن الملا مفتي الأحساء.

٤- الفقيه الفرضي الشيخ محمد بن حسين العرفج.
٥- الأديب الصالح العلامة الشيخ عبد العزيز بن حمد المبارك.
٦- الأديب الفقيه العلامة الشيخ عبد الله بن علي العبد القادر.
٧- العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن عثمان.
٨- العلامة الشيخ عثمان بن أحمد بن عبد الله بن عثمان.
٩- عالم البحرين الشيخ أحمد المهزع.
١٠- الشيخ ملا محمد الجداوي.
١١- العلامة الشيخ يوسف القناعي قاضي الكويت.
١٢- العلامة الشيخ حسن بن الشيخ عبد الرحمن بن علي المالكي.
١٣- الشيخ عبد الرحمن سلطان العلماء من أهل لنجه بفارس.
١٤- مفتي الحنفية في عمان الشيخ علي الكازروني.
١٥- الشيخ عبد اللطيف الجودر من علماء البحرين.
١٦- الشيخ سيف بن بطحان.

وغيرهم كثير.

مؤلفاته:

اشتغل -رحمه الله- بنسخ مؤلفات والده، فلا نجد كتاباً من كتب والده، التي تبلغ قريب المائة، إلا ونجد نسخاً عديدة بخط الشيخ -رحمه الله-، ومع ما كان عليه -رحمه الله- من تعليم العلم والوعظ، والقيام بخدمة الفقراء والمساكين، فقد كانت له مؤلفات منها:

١- إتحاف الأريب بمختصر الترغيب والترهيب.
٢- فتح المولى الوهاب شرح تحفة الطلاب، في الفقه.
٣- شرح جواهر المسائل، في الفقه.
٤- قلائد الذهب شرح وسيلة الطلب، في الفقه.
٥- إتحاف السائل عما يجب اعتقاده على كل مُكَلَّف عاقل.
٦- إعلام بعض المستفهمين عن معتقد خاتمة المتأخرين وغيره من العلماء الأحسائيين.
٧- كشف الإشكال عما خفي من الاعتقاد على العوام والجُهَّال.
٨- كشف الضرر في القضاء والقدر.
٩- تحفة السائل عما استشكله من المسائل.
١٠- بغية السائلين عن ترجمة خاتمة المتأخرين.
١١- ردع ذي الجهل المركب والعناد، عن منع التقليد

ودعوى الاجتهاد.

١٢- القول الجلـي الراسخ في الـرد علـى مـن أنكـر رابطـة المشايخ.

١٣- منح المولى الخلاق في تعريف التصوف والأخلاق.

١٤- كشف الغمة في نصيحة خواص الأمة.

١٥- النصيحة العامة للخاصة من الناس والعامة.

١٦- قمع المعاند في حرمة انتهاك المساجد.

١٧- عدة المُنْكِر في النهي عن استعمال كلِّ مسكر ومفتر.

١٨- تنبيه ذوي الفطن عن استعمال الدخان والتتن.

١٩- أدعية لختم القرآن الكريم.

٢٠- دعاء وداع شهر رمضان المبارك.

٢١- أدعية كثيرة في مقاصد شتى.

وفاته:

قضى حياته -رحمه الله- بين علم وتعليم، وفقه وتفقيه، حياة مديدة بين الـدرس والتصنيـف، فعـاش عيـش الفقهـاء، ليموت موت السعداء. وبعـد مضـي هـذا السـجل الحـافل، بالعلم والورع وإرشاد الناس، أدركته المنية سنـة ١٣٠٩هـ يوم الخميس ليلة السابع عشر من شهر رمضان المبارك وقـت التجلي، ودفن -رحمه الله- في مقبرة الكـوت في الأحسـاء،

فبكت عليه العلوم وأهلها، وحزن لمصابه القريب والبعيد، ورثاه جملة من علماء عصره بما يجرح القلوب سماعه.

هذه خلاصة ترجمته الجليلة، وفيما ذكرناه كفاية يستدل بها على علو مكانته.

وأكتفي من بين مراثيه العديدة بنقل هذه المرثية التي قالها أحد تلامذة الشيخ رحمه الله:

أَوْدَى الأَسى بفُؤادِ مَنْ لَمْ يَحْزَنِ
وَانْفَلَّ غَرْبُ العَيْنِ إنْ لَمْ يَهْتُنِ

قَدْ حَلَّ بِالإسْلامِ ثُمَّ بِأَهْلِهِ
خَطْبٌ عَظِيمُ الوَقْعِ لَيْس بِهَيِّنِ

فَتَّ القُلُوبَ تَوَجُّعاً وَتَفَجُّعاً
وَعَلا الوُجُوهَ بِلَونِ حُزْنٍ أَدْكَنِ

أَسَفاً عَلَى الإِسْلامِ إِذْ هُدَّتْ لَهُ الـ
أَرْكَانُ فَهْوَ مُقَلْقَلٌ لَمْ يَسْكُنِ

وَانْهَدَّ رُكْنُ الحَقِّ وَانْطَمَسَتْ لَهُ الـ
أَعْلامُ فَهْوَ الآنَ لَيْسَ بِبَيِّنِ

وَخبَا سَنَا العِلْمِ الشَّرِيفِ وَأَظْلَمَتْ
أَقْطَارُهُ إِذْ خَرَّ كَوْكَبُهُ السَّنِي
وَانْجَابَ مَاطِرُهُ وَأَجْدَبَ رَوْضُهُ
وَذَوَى جَنَاهُ وَغَيْضُ مَشْرَبِهِ الهَنِي
فُقِدَ المُحَقِّقُ عَالِمُ الدُّنْيَا الذِي
لَمْ يَسْتَطِعْ وَصَفاً لَهُ ذُو الأَلْسُنِ
العَالِمُ العَلَمُ الجَلِيْلُ مَلاذُنَا
الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ نُورُ الأَعْيُنِ
نَجْلاً لِسَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الذِي
فِي كُلِّ عِلْمٍ قَدْ غَدَا بِتَفَنُّنِ
إِنْسَانُ عَيْنِ الفَضْلِ مِصْبَاحُ الدُّجَى
عَلَمُ الهُدَاةِ إِلَى الطَرِيقِ البَيِّنِ
رُكْنِي القَوِيْمُ إِذَا اعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ فِي
مَا رُمْتُهُ مِنْهُ وَمَا قَدْ نَابَنِي
فَبَدَتْ مَسَرَّةُ كُلِّ قَلْبِ مُنَافِقٍ
وَعَلَتْ كَآبَةُ كُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنِ

أَسَفاً عَلَى فِقْدَانِ خِرّيْتِ الوَرَى

طَوْد الشَّرِيْعَةِ ذِي الطَّرِيْقِ الأَحَسَنِ

نَجْمُ الهُدَى غَيْثُ الوَرَى رَوْضُ النَّدَى

وَالعِلْمُ دَانِي المُجْتَنَى لِلْمُجْتَنِي

بَحْرُ الحَقَائِقِ وَالرَّقَائِقِ وَالعُلُو

مِ وَحِبْرُهَا المُتَطَلِّعُ المُتَفَنِّنِ

حَلاَّلُ كُلِّ حَقِيْقَةٍ تُعْيِي النُهى

كَشَّافُ مَا باللبْسِ لَمْ يَتَبَيَّنِ

تَحْقِيْقُهُ فِي كُلِّ مَا هُوَ مُعْضَل

يُشْفِي القُلُوبَ بِحُسْنِ لَفْظٍ بَيِّنِ

يُلْقِي إِلَيْكَ مِنَ الفَوَائِدِ مُمَلِّياً

مَا فَاتَ كُلَّ مُصَنِّفٍ وَمُدَوِّنِ

يَا طَالِباً لِلعِلْمِ تِلْكَ كَرَامَةٌ

ذَهَبَ الذِي بِالطَّالِبِيَّهِ مُعْتَنِي

وَإِذَا أَتَوْهُ يَقُولُ لَنْ تَتَطَلَّعُوا

بِالعِلْمِ مَا لَمْ تَقْطُنُوا فِي مَسْكَنِي

حِرْصاً عَلَى نَشْرِ العُلُومِ وَرَغْبَةً

فِي الجُوْدِ تُنْبِئُ عَنْ زَكِيٍّ المَعْدِنِ

يَا طَالِبَ المَعْرُوفِ خَلِّ طِلابَهُ

ذَهَبَ الذِي مَعْرُوفُهُ لَمْ يمْنُنِ

يُبْدِي لِمُنْتَجِعِي نَدَاهُ بَشَاشَةً

تُنْسِي النَّزِيْلَ لَدَيْهِ طِيْبَ المَوْطِنِ

لَوْ جِئْتَهُ حَالَ الخَصَاصَةِ لَمْ تَرُحْ

إِلا وَأَنْتَ بِفَضْلِهِ مُثْرٍ غَنَي

مَا كَانَ ذَا مَالٍ وَلَكِنْ بَذْلُهُ

لِلمَالِ لَيْسَ عَلَى سِوَاهُ بِمُمْكِنِ

كَمْ مِنْ يَدٍ أَسْدَى وَكَمْ بَيْتٍ عَلا

مَا أَسَّسَتْ يُمْنَى يَدَيْهِ قَدْ بُنِي

لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَدَيْهِ أَنَالَهَا

وَرَأَى بَأَنَّ بَقَاءَهَا لَمْ يَحْسُنِ

كَرَمَا وَزُهْداً فِي الحُطَامِ وَرَغْبَةً

فِيمَا لَدَى الرَّحْمَنِ أَفْضَلُ مَا اقْتُنِي

كَرُمَتْ ضَرَائِبُهُ فَعَزَّ ضَرِيْبُهُ
إِذْ مِثْلِهِ فِي الدَّهْرِ لَمْ يَتَكَوَّنِ
مَنْ لِلقُلُوبِ إِذا تَعَذَّرَ طِبُّهَا
وَطَمَى عَلَيْهَا دَاءُ جَهْلٍ مُزْمِنِ
مَنْ لِلعُلُومِ يَضُمُّ شَمْلَ شَتَاتِهَا
وَيَشُتُّ فِيْهَا كُلَّ غَالٍ مُثْمِنِ
مَنْ لِلنُصُوصِ إِذَا تَعَذَّرَ فَهْمُهَا
لِلطَّالِبِيْنَ وَعَزَّ كُلُّ مُبَيَّنِ
مَنْ لِلأَحَادِيْثِ الصِحَاحِ يَهُذُّهَا
عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ لِلعُلُومِ مُدَوِّنِ
مَنْ لِلأَسَانِيْدِ العَوَالِي بَعْدَهُ
مَنْ كُلِّ إِسْنَادٍ لَدَيْهِ مُعَنْعَنِ
مَنْ لِلخُصُومِ إِذَا ادَّعَتْ أَبْطَالُهَا
وَنَضُوا لِبِدْعَتِهِمْ سِيُوفَ الأَلْسُنِ
كَانُوا إِذَا حَضَرُوا لَدَيْهِ أَخْبَتُوا
وَهُم الذِّئَابُ اللَّدَعِي الأَلْكَنِ

مَـا كَـانَ سُـلْطَانـاً وَلَـكِـنْ خَـصَّـهُ

مَـوْلاهُ بِالـعِـزِّ الـمَهِـيْــبِ الأَمْـكَــنِ

دَانَـتْ لِـهَيْبَتِــهِ الـمُلُــوكُ لأَنَّـــهُ

للهِ يَـغْضَــبُ لا عَلَـى طَـمَـعٍ دَنِــي

مَـنْ قَـامَ فِـي ذَاتِ الإِلَـهِ مُـجَاهِــداً

بِالـجِـدِّ لَـمْ يَـكُ بِالـمَلامَـةِ يَـنْثَنِــي

لَـمْ يَـخْـشَ فِـي ذَاتِ الإِلَـهِ وَنَصْرِهِ

مِـنْ ذِي ضَـلالٍ بِالعَـدَاوَةِ مُـعْلِــنِ

فَحَمَاهُ طُـولَ حَيَاتِـهِ كَـيْـدَ الـعِـدَى

حَتَّـى أَتَـاهُ بِـحُـبٍّ قَـلْـبٍ مُـؤْمِــنِ

كَانَــتْ بِــهِ الـدُّنْيَـا تَـرُوقُ وَبَـعْـدَهُ

ذَهَبَـتْ بَشَاشَـةُ كُـلِّ وَجْـهٍ أَحْسَـنِ

غَـارَتْ عَلَـى دُنْـيَـاهُ أُخْـرَاهُ كَـمَـا

تَتَغَايَـرُ الضُّـرَّات فِي البَعْـلِ الـغَنِــي

فَـتَشَــوَّقَـتْهُ فَـجَاءَهَـا مُـتَشَـــوِّقـاً

مُـتَـــزَوِّداً بِـأَعَــزِّ مَـا هُـوَ مُـقْتَنِــي

أَعْطَـاهُ رَبِّـي مَـا حَـوَى تَـارِيْخُـهُ

وَنَالَ فِي الفِـرْدَوْسِ أَشْـرَفَ مَسْكَنِ

صَـبْراً فَتَاهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْـلِ الحِجَـى

وَالعِلْـمِ وَالدِّيْـنِ القَوِيْـمِ الأَمْتَـنِ

فَـالحُـزْنُ يَـا مَـوْلايَ لَـيْـسَ بِنَافِـعٍ

شَـيْئاً وَعُـقْبَـى الصَّبْرِ أَحْلا مَا جُنِي

كُلٌّ لِكَاسَـاتِ الـمَنِيَّـةِ شَـارِبٌ

إِلا الإِلَـهَ وَكُـلَّ شَيْءٍ قَـدْ فَنِـي

مَعْ أَنَّهُ مَـا مَـاتَ مَنْ كَـانَ اسْـمُهُ

بَـيْـنَ البَرِيَّـةِ شَـائِـعٌ لَـمْ يُدْفَـنِ

إِنْ مَـاتَ وَالِـدُكُـمْ فَـإِنَّ فَـخَـارَهُ

وَعُلاَهُ فِـيْكُـمْ ظَاهِـرٌ لَـمْ يَـكْمُـنِ

أَنْتُـمْ خَـلائِفُـهُ بِـنَشْـرِ عُـلُومِـهِ

أَنْتُـمْ مَـظَاهِـرُ مَـجْـدِهِ المُتَمَكِّـنِ

أَنْتُمْ مَـصَابِيْـحُ الدُّجَى مِنْ بَـعْـدِهِ

مَـلأَ المَسَـامِعَ قُـرَّةً لِلأَعْيُـنِ

وَإِذَا زَكَى الأَصْلُ الشَّرِيْفُ وَإِنْ فَنِي

فَالفَرْعُ زَاكٍ وَالجَنَى زَاكٍ جَنِي

وَالوَرْدُ يَذْهَبُ ثُمَّ يُخْلِفُ ماؤه

طِيْبَاً يَدُومُ عَلَى مُرُورِ الأَزْمُنِ

جَبَرَ الإِلَهُ مُصَابَكُمْ وَحَمَاكُمُ

مِنْ شَرِّ بَاغٍ فِي العَدَاوَةِ مُمْعِنِ

وَهَمَتْ عَلَيْكُمْ أَنْعُمٌ وَفَوَاضِلٌ

تَتْرَى مِنَ اللهِ الكَرِيْمِ المُحْسِنِ

[مقدمة المؤلف]

بسم ا لله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمدُ لله رب العالمين، الذي أمر بالتقوى، ووصى بها عباده الأولين والآخرين، وأشهد أن لا إلـه إلا ا لله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، المنزل عليه في كتابه المبين، ﴿**ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا ا لله**﴾ [النساء: ١٣١] ففيه كفايةٌ للمستبصرين، صلى ا لله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المنتخبين الطاهرين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد سألني بعض الإخوان المخلصين، أن أكتب له نصيحة، ليكون بها إن شاء ا لله تعالى من المنتفعين، فتقاعستُ عن ذلك لعلمي بأني لست بما نقلت[١] من المُتّصفين، ولقصوري عن هذا المقام، وعدم تأهُّلي لما رام، لتقصيري في حقوق ا لله وحقوق الأنام. لكنه لما وقع منه اللّحاحُ والتكرار، وقع في البال الإسعافُ مع الاقتصار، ولعلَّ

---

(١) في نسخة: (أراد).

الذكرى تنفعُ المؤمنين، وترشد الحائدين عن طريق المهتدين إلى طريق المتقين، وأستغفرُ الله تعالى وأتوب إليه، وأسأله سبحانه أن ينفع بها المسلمين، وأن لا يفضحني يوم العرض عليه.

هذا وقد لاح لي أنْ أكتبَ بعض الكلمات المنقولة عن بعض المشايخ الثقات، قال - رحمه الله تعالى[1]-:

---

(١) هذه الرسالة لخصها الشيخ من رسالة (وصية) للإمام موفق الدين عبد الله ابن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي. ولد في شعبان سنة ٥٤١هـ، وتتلمذ على خلق كثير منهم: هبة الله الدقاق، وابن البطي، وأبي زرعة، ويحي بن ثابت، وأقام عند الشيخ عبد القادر الجيلاني وقرأ عليه "مختصر الخرقي".

قال سبط بن الجوزي: "كان إماما في فنون عدة، ولم يكن في زمانه بعد أخيه أبي عمرو العماد أزهد ولا أورع منه، وكان كثير الحياء عزوفاً عن الدنيا وأهلها، هيناً ليناً مَنْ رآه كأنما رأى بعض الصحابة". له مؤلفات كثيرة منها: كتاب "المغني في الفقه"، و"البرهان في مسألة القرآن"، و"الاعتقاد في فضائل الصحابة"، و"مختصر العلل للخلال"، و"الرقة والبكاء"، و "الكافي" ، و"المقنع"، و"مناسك الحج"، وغيرها.

توفي بدمشق يوم الفطر سنة عشرين وستمائة ودفن بجبل قاسيون تحت المغارة المعروفة بمغارة التوبة. (سير أعلام النبلاء ١٦٥/٢٢، البداية والنهاية ٩٩/١٣، الوافي بالوفيات ٣٧/١٧، الاعلام ٦٧/٤، مقدمة كتاب المغني).

[الدنيا مزرعة الآخرة]

اعلمْ - رحمكَ الله تعالى- أن هذه الحياة الدنيا مزرعةُ الآخرة، ومتجر أرباحها، وموضع تحصيل الزاد والبضائع الرابحة، بها سبق السابقون، وفاز المتقون، وأفلح الصادقون، وربح العاملون، وخسر المبطلون، وأن هذه الدار، أمنية أهل الجنة وأهل النار، قال الله تعالى في حق أهل النار: ﴿**وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل**﴾ [فاطر: ٣٧]، وقال جَلَّ ذكره: ﴿**ولو ترى إذ وُقِفُوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَدُّ ولا نكذّب بآياتِ ربنا ونكون من المؤمنين**﴾ [الأنعام: ٢٧].

وقال ابن مسعود فيما يرويه: "إنَّ أرواح الشهداء في أجوافِ طيرٍ خُضْرٍ، تسرحُ في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديلَ معلّقة بالعرش، فبينما هم كذلك اطّلعَ عليهم ربُّكَ اطلاعةً، فقال: يا عبادي سَلُوني ما شئتم، فقالوا: يا ربنا نسألُكَ أن تردَّ أرواحنا في أجسادنا، ثم تردنا إلى الدنيا فَنُقتلَ فيك مرة أخرى. فلما رأى أنهم لا يسألون إلا ذلك

تركوا"[1].

واعلم يا أخي -وفقني الله تعالى وإياك- أن الله علم منهم أنهم لا يسألون تلك، وأنهم لا يردون إلى الدنيا، وإنما أراد إعلامَ المؤمنينَ الذين في الدنيا أن أمنيتهم في الجنة القتل في سبيله ليرغِّبهم في ذلك.

[أحوال بعض السلف]

وقال إبراهيم التيمي[2] - رحمه الله تعالى -: مثلت نفسي في الجنة، آكلُ من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأتمتع بنعيمها، فقلت لنفسي: يا نفسُ أي شيء تَمنّينَ؟ فقالت: أرد إلى الدنيا فأزداد من العمل الذي نلتُ به هذا، ثم مثلت نفسي في النار، أُحرقُ بجحيمها، وأُطعَمُ من زَقُّومها، فقلت لنفسي: أي شيء تمنين؟ فقالت: أرد إلى الدنيا فأعمل عملاً

---

(١) الحديث رواه مسلم في باب (بيان أن أرواح الشهداء في الجنة) رقم (١٨٨٧) وروى بعضه الإمام الترمذي رقم (١٦٤١) عن كعب بن مالك وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي الكوفي، يكنى أبا أسماء الأعمش الكوفي، العابد الزاهد، روى عن أبيه والحارث بن سويد، وأنس بن مالك وغيرهم، توفي في حبس الحجاج سنة ٩٢ هـ رويت عنه أخبار كثيرة في زهده وحكمه وورعه (طبقات ابن سعد ١٩٩/٦، حلية الأولياء ٢١٠/٤-٢١١).

أتخلصُ به من هذا، فقلت لنفسي: يا نفس فأنت في الأمنية[1].

وكان بعض السلف قد حفر لنفسه قبراً، فإذا فتر من العمل نزل في قبره، فتمدد في لحده، ثم قال: يا نفس قَدِّري أنك قد مُتِّ، وصرتِ في لحدك، أيّ شيءٍ كنت تمنين؟ قالت: أُردّ إلى الدنيا فأعمل صالحاً، فيقول لها: قد بلغت أمنيتك فقومي واعملي.

[أمنية أهل القبور]

واعلموا - رحمكم الله تعالى - أن أهل القبور، أمنيةُ أحدهم أنْ يُسبِّحُ تسبيحةً تزيدُ في حسناته، أو يقدر على توبةٍ من بعض سيئاته، أو ركعة ترفع في درجاته[2].

وقد روينا: "أن رجلاً ركع ركعتين إلى جانب قبر ثم

---

(١) حلية الأولياء ٤/٢١٠-٢١١ وصفوة الصفوة ٣/٥٨.

(٢) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ليس يتحسَّرُ أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها" رواه الطبراني عن شيخه محمد بن إبراهيم الصوري، ذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٢/٤٠١ وقال: "ولا يحضرني فيه جرح ولا عدالة وبقية إسناده ثقاة معروفون"، ورواه البيهقي بأسانيد أحدها جيد.

اتكأ عليه، فأغفى، فرأى صاحب القبر في المنام يقول: تَنَحَّ عني فقد آذيتني، والله لو أن هاتين الركعتين اللتين ركعتهما لي كانتا أحبّ إليَّ من الدنيا وما فيها، إنكم تعملون ولا تعلمون ونحنُ نعلم ولا نعمل".

[اغتنام الوقت]

فاغتنموا - رحمكم الله تعالى- حياتكم، واحتفظوا بأوقاتكم، واعلموا - وَفَّقكم الله- تعالى أن مدة الحياة محدودة، والأنفاس معدودة، فكلُّ نَفَسٍ ينقصُ به جزءٌ من الحياة، والعمر كله قصير، والباقي منه هو اليسير، وكل جزء منه جوهرة نفيسة، لا عدل لها ولا خلف منها، فإنَّ بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم، أو العذاب الأليم، وإذا عادلتم هذه الحياة بخلود الأبد، علمتم أن كلَّ نَفَسٍ يعدلُ ألفُ ألفِ عامٍ في النعيم لا حصر له، أو خلاف ذلك، وما كان هكذا فلا قيمةَ له[1]، فلا تُضَيِّعُ أيها الإنسانُ جواهرَ عمرك النفيسة بغير عمل، ولا تُذْهبها بغير عوض، واجتهدْ أن لا يخلو نَفَسٌ من أنفاسك إلا في عملِ الطاعة[2]، أو قُربةٍ تتقرَّبُ بها، فإنك لو كانت معك جوهرة من جواهر الدنيا،

(١) أي لا تُقَدَّر له قيمةٌ لنفاسته.

(٢) في نسخة: (شيء).

فضاعت منك، لحزنت عليها حزناً شديداً، بل لو ضاع منك دينار لساءك، فكيف تفرط في ساعاتك؟ وكيف لا تحزن على عمرك الذاهب بغير عِوض!؟

[ما ينبغي أن يكون عليه حال المؤمن]

واجتهد -رحمك الله تعالى- أن تكون من القوم الذين استوعبوا الساعات بالطاعات، ولم يفرطوا في شيء من الأوقات.

وألزم قلبك[1] التفكُّرَ في نعم الله لتشكرها، وفي ذنوبك لتستغفرها، وفي تفريطك لتندم، وفي مخلوقات الله وحكمه لتعرف عظمته أو حكمته، وفي ما بين يديك لتستعدَّ له، أو في حكم شيء تحتاج إليه لتعلمه.

وألزِمْ لسانك ذكر الله تعالى ودعاءه، واستغفاره، وقراءة قرآن، أو علمَ أو تعليمَ علمٍ، أو أمرٍ بمعروف أو نهي عن منكر، أو إصلاح بين الناس.

واشغلْ جوارحك بالطاعات، وليكن من أهمها الفرائض في أوقاتها على أكمل هيئاتها[2]، ثم ما يتعدى نفعه

(١) أي لازم قلبك التفكر في هذه المذكورات.

(٢) في نسخة: (أحوالها).

إلى الخلق، وأفضل ذلك ما نفعهم في دينهم، كتعليم الدين وهدايتهم الصراط المستقيم.

[الحذر من مفسدات الأعمال]

واحترسْ من مفسدات الأعمال، لئلا يفسد عملك، ويخيب سعيك، ولا تحصل أجرَ العاملين، ولا راحةَ البطالين، وتفوتكَ الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسرانُ المبين.

[الرياء]

فمن ذلك: الرياءُ[(١)] والعملُ لمحمدةِ الناس، فإن هذا شِرْكٌ لقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى:

---

(١) الرياء: هو طلبُ المنزلة والرفعة بعمله في قلوب الخلق، كالذي يصوم ويصلي ويقرأ القرآن ويتصدق ويحج ويجاهد ليعظم قدره عند الناس، فذلك هو المرائي، وعمله مردود، وسعيه خائب، سواء فعل الناس معه له ما أمله منهم أو لم يفعلوه. وأشد أنواعه أن يتجرد باعث الرياء في العبادة، بحيث يصير الإنسان لولا الناس والحرص على إطلاعهم ونظرهم إليه لم يجد باعثاً على العمل أصلاً. ودون ذلك أن يقصد بعمله التقرب إلى الله، وطلب ثواب الآخرة، مع مراءاة الناس، وطلب المحمدة عندهم والمنزلة، وهذا قبيح، محبط للثواب، والذي قبله أقبح، وأحبط وأخطر، فعلى المؤمن أن يجتهد في دفع الرياء عن نفسه، وأن لا يكون له نية ولا قصد في جميع طاعاته وعبادته إلا التقرب إلى الله تعالى. (قلائد الذهب في شرح وسيلة الطلب للمؤلف).

"مَنْ عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، تركته وشركَهُ، فهو للذي أشرك، وأنا منه بريء"[1] وقد لا يحصل للمرائي ما قصده فيخيب بالكلية. فقد روينا: "أن رجلاً كان يرائي بعمله فإذا مر بالناس قالوا: هذا مرائي، فقال يوما في نفسه: والله ما حصلت على شيء، فلو جعلت عملي لله عز وجل، فما زاد على أن قلب نيته، فكان إذا مَرَّ بهم بَعْدُ قالوا: هذا رجلٌ صالح".

[العجب]

ومن ذلك العُجْب[2] فقد روي: أن المرء المعجب لا

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تبارك تعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه". ورواه ابن ماجة رقم (٤٢٠٢) ولفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله عز وجل: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك. فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء. وهو للذي أشرك"".

(٢) العجب: النظر إلى النفس بعين الاستعظام، وهو رؤية العبادة واستعظامها من العبد – فهو معصية متعلقة بالعبادة– وهو حرام لأنه سوء أدب مع الله، إذ لا ينبغي للعبد أن يستعظم ما يتقرب لسيده، بل يستصغره بالنسبة إلى عظمة سيده، لا سيما عظمته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾، الأنعام: ٩١، وقال تعالى: ﴿فلا تزكوا

يجاوز عمله رأسه. وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: يا موسى! قُلْ للعاملين المعجبين: اخسروا، وقل للمذنبين النادمين: ابشروا. وقال بعضهم: "لأَنْ أبيتَ نائماً، وأصبح نادماً، أحبُّ إليَّ من أنْ أبيتَ قائماً، وأُصبح معجباً".

[احتقار المسلم]

ولا تحقرنّ مسلماً، ولا تظن أنك خيرٌ منه، فإن ذلك ربما أحبط عملك. وقد روينا أن عيسى عليه السلام خرج في سياحته ومعه حواريه، فمر بقلعة فيها لص، فلما رآهم قال في نفسه: هذا عيسى نبي الله وهذا حواريه، ومَنْ أنتَ يا شقي - أي يخاطب اللص نفسه - لصٌّ تقطعُ الطريق، وتُخيفُ السبل، وتقتل النفس التي حرم الله، فنزل إليهما تائباً نادماً، فلما أراد أن يمشي معهما قال في نفسه: ما أنا بأهلٍ أن أمشي معهما، ولكني أمشي خلفهما كما يمشي المذنبُ الذليل، فمشى خلفهما، فالتفت الحواري، فرآه يمشي خلفهما فعرفه، فقال في نفسه: مَنْ هذا الكلب حتى يمشي خلفنا، فاطلع الله تعالى على ما في أنفسهما، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: قل للحواري واللص يستأنفان

أنفسكم﴾، النجم: ٣٢، أي لا تَمدحوها ولا تُثْنوا عليها، (قلائد الذهب).

العمل، أما اللص فقد غفرتُ له بتوبته بازدرائه لنفسه، وأما الحواري فقد أحبطتُ عمله بازدرائهِ اللص التائب.

[**مخالفة السنة**]

ومن ذلك: مخالفة السنة قولاً أو فعلاً أو عقداً، فإن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هو الدليل الهادي إلى الصراط المستقيم، قال الله تعالى: ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ [الشورى: ٥٢].

فمن خالف الدليل وأخذ غير طريقه ضَلَّ، بل اتَّبع السُّنةَ، وسِرْ حيثُ سارت، وقِفْ حيث وقفت، ولا تجاوزها فتضلَّ في دينك، مثل: الوسوسة في الطهارة والصلاة، والزيادة على الغسلات المشروعة، والإسراف في الماء، وتنجيس ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يطهره ويستعمله، والصلاة في وقت نهيه(١)، والصوم كالعيدين

---

(١) عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: ثلاث ساعات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا أن نصلي فيهن وأن نقبر فيهن موتانا حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب. رواه مسلم (٢٧٦/١) قال الإمام النووي: الظهيرة حال استواء الشمس، ومعناه حين لا يبقى للقائم في الظهيرة ظل في المشرق ولا في المغرب اهـ. أما كراهة صلاة الجنازة في هذه الأوقات مخصوصة بما إذا لم تحضر في هذه الأوقات

وأيام التشريق، فإنه منهي عن ذلك، والصوم فيما نهى عنه.

قال أبو سليمان الداراني[1]: "إذا أردت عملاً ترى أنه طاعة فانظر، فإنْ وردتْ به السنةُ فاعمله، وإلا فَدَعْهُ - أو كما قال- وإذا دعتك نفسك إلى فعلٍ محظور - من فعلِ منهي عنه - فاذكرْ سوءَ عاقبته".

[مراقبة العبد ربه في السر والعلن]

واعلم أن الله سبحانه ناظرٌ إليك، مُطَّلعٌ عليك، فقل

وإذا حضرت فيها لا تؤخر الصلاة، ودليل التخصيص: قوله صلى الله عليه وسلم: "أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم" رواه البخاري ومسلم. ففي هذه الأوقات الثلاثة لا يجوز الصلاة إلا صلاة الجنازة إذا حضرت وسجدة التلاوة إذا تليت الآية في هذه الأوقات. وتكره النافلة في أوقات. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس" رواه البخاري في باب لا تتحر الصلاة قبل غروب الشمس (١/٨٢). وتمام الكلام في الأوقات التي يكره فيها الصلاة في كتب الفقه فارجع إليها إن شئت.

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي، الداراني المذحجي، أبو سليمان الزاهد القدوة، أحد الأبدال، كان عديم النظير زهدا وصلاحا، كان من كبار الصوفية، وله كلام رفيع في التصوف والمواعظ، وله أخبار في الزهد، قال ابن ناصر الدين: "كان إماماً أميناً ثقة مأموناً". توفي سنة ٢١٥ هـ (شذرات الذهب ٢/١٣، والأعلام ٣/٢٩٣).

لنفسك: لو كان رجل من صالحي قومي يراني لاستحييتُ منه، فكيف لا أستحيي من ربي تبارك وتعالى، ثم لا آمن تعجيل عقوبته وكشف ستره.

[استحالة معصية الله باستبعاد نعمه]

واعلم أنك لا تقدر على معصيته إلا بنعمة، فكم لله عليك من نعمة في يدك التي مددتها إلى معصيته؟ وكم من نعمة في عينك التي نظرت بها إلى ما حرم عليك؟ وفي لسانك الذي نطقت به بما لا يحل لك؟ وليس من شكر إنعامه أن تستعين على معاصيه.

كان بعضهم يقول: "اللهم إني أستغفرك من خطيئة قَوِيَ عليها بدني بعافيتك، ونالتها يدي بفضل نعمتك، وانبسطتُ فيها بسعة رزقك، واحتجبتُ فيها عن الناس بسترك، وجَرَّأني عليها حلمك وأناءتك، واتّكلتُ فيها على كريمِ عفوك".

ولو لم يكن من نعمه عليك في معصيته إلا سَتْرُها عليك لكفى، فلو اطلع الناس لانهتكتَ[1].

---

(١) أي افتضحت.

وقد روينا أن رجلاً أتى إبراهيم بن أدهم[1] فقال: يا أبا إسحاق، إني لا أصبر عن المعاصي، فقل لي قولاً أنتفع به، قال: نعم، أقول لك خمس خصال، إنْ قدرتَ عليها لم تضرك معصية، قال: هات، قال: إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكلْ رزقه، قال: يا أبا إسحاق، فمن أين آكلُ وكل ما في الأرض من رزقه!؟ قال: أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه؟ قال: لا.

قال: هات الثانية.

قال: إذا أردت أن تعصيه فلا تسكن بلاده، قال: هذه أشد من الأولى، إذا كانت السموات والأرض وما بينهما وما فيهما له، فأين أسكن؟ قال: يا هذا، أفيحسن أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه؟ قال: لا.

قال: هات الثالثة، قال: إذا أردت أن تعصيه، فانظر إلى موضع لا يراك، فاعصه فيه، قال: يا أبا إسحاق، فكيف

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي، من أئمة الزهد المشهورين. رحل إلى العراق والشام والحجاز وأخذ عن أهلها. كان يشترك مع الغزاة في قتال الروم، وكان دائم الصوم سفرا وإقامة، توفي – رحمه الله– سنة ١٦١ هـ. (تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/١٦٧، ومختصره لابن منظور ٤/١٧، وصفة الصفوة ٤/١٥٢).

أصنع وما في السماء والأرض والجبال والبحار موضع إلا وهو بارز له، يرى ما في قعر البحار، وتحت أطباق الجبال؟ قال: يا هذا، أفيحسن أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتجاهره بالمعصية؟ قال: لا.

قال: هات الرابعة، قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك، فقل: أَخِّرْني حتى أتوبَ، قال: لا يقبل مني، قال: يا هذا، إذا كنت تعصيه، ولا تأمن مفاجأةَ الموت، ولا يقبل منك فيؤخرك، فتموت على غير توبة، فكيف يكون حالك؟

قال: هات الخامسة، قال: إذا جاءتك الزبانية ليأخذوك إلى النار، فلا تمض معهم، قال: لا يَدَعُونني، قال: فإذا كنتَ لا تقدرُ على الامتناع منهم، ولا تدع المعصية، فكيف ترجو الخلاص؟ قال: حسبي. ولزمَ إبراهيمَ، فعبدَ الله معه حتى مات.

[المبادرة إلى التوبة]

وإن ابتُليتَ بمعصيةٍ، فبادر إلى التوبة[1] والندم

---

(١) التوبة إلى الله من أعظم المنجيات، وأفضل القربات، وقد أمر الله عباده ورغبهم فيها، ووعدهم بقبولها في كثير من الآيات. قال تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾، النور: ٣١. وقال تعالى: ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾، هود: ٣. وقال تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾، طه: ٨٢، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

ثم إن للتوبة شروطاً لا بد منها وهي:

١- أن يندم بقلبه على ما فعل من الذنوب السالفة.

٢- أن يقلع عنها فلا تصح التوبة وهو مقيم على الذنب وملازم له.

٣- أن يعزم على أن لا يعود إلى ما فعل من الذنوب أبداً ما عاش.

وهذه الثلاثة الشروط لا بد منها في التوبة.

هذا إذا كان الذنب بينه وبين الله تعالى و لم يتعلق به حق، فإن تعلق به حق وجب قضاؤه، فإن كان صلاة أو صوما قضاهما، أو زكاة أداها بالقضاء، وحسب الاستطاعة، ويرد أموال الناس إن بقيت، ويغرمها إن تلفت، أو يستحل منهم، فإن مات المستحق للأموال، سلمها إلى الوارث له، فإن عجز عن ذلك، لِغَيْبَةٍ أو موت، وأمكن التصدق عنه فليفعل، فإن لم يمكنه فعليه بتكثير حسناته، والرجوع إلى الله أن يُرْضِيَه عنه يوم القيامة. وأما ما كان في النفس، فيمكنه من القصاص أو أوليـاءه حتى يقتصوا منه، او يُجْعَلَ في حل، وإن عجز فالرجوع إلى الله أن يُرْضِيَه عنه يوم القيامة. وأما الغيبة والبهتان والشتم، فالحق أن يكذب نفسه بين يدي من فعل عنده ذلك، وأن يستحل من صاحبه الذي اغتابه إن أمكن ذلك، و لم يخش زيادة غيظ وهيجان فتنة في إظهار ذلك أو تجديده، فإن

والاستغفار، وابك على خطيئتك، فإنك لا تدري على ما أنت منها. كان بعضهم يقول: "لا تنظر إلى صِغَرِ الخطيئة، ولكن انظر إلى مَنْ عصيت".

وشُكِيَ بعض عمال عمر بن عبد العزيز[1]، فكتب إليه: يا أخي، اذكر سهرَ أهلِ النار في النار مع خلود الأبد، واحذر أن يكون المنصرف بك من عند الله إلى النار، فيكون آخر العهد وأنت منقطع الرجاء. فلما قرأ الكتاب طواه حتى قدم عليه، فقال[2]: ما أقدَمَكَ؟ فقال: خلعتَ قلبي بكتابك، لا عملتُ لكَ ولا لأحدٍ بعدك[3].

خشي ذلك فالرجوع إلى الله ليرضيه عنه يوم القيامة، والاستغفار الكثير لصاحبه هذا إن بلغ المغتاب ذلك، فإن لم يبلغ المغتاب فيكفي الشروط المذكورة من الندم والإقلاع والعزم على أن لا يعود، والترك لمثله. (قلائد الذهب للمؤلف).

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص، الخليفة الصالح العادل، قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم، ومدة خلافته سنتان ونصف، وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة توفي سنة ١٠١ هـ (الأعلام ٥/٥٠، وسير أعلام النبلاء ٥/١١٤).

(٢) القائل هو عمر بن عبد العزيز لعامله.

(٣) الخبر موجود في كتاب "الرقة والبكاء" لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ص:٣٥١، ذكره الفضيل بن عياض في مناصحته لهارون الرشيد.

[الأمانة التي كُلّف العبد بحملها وما يترتب عليها]

واعلموا -وفقني الله تعالى وإياكم- أن الخطر عظيم، والخطب جليل، وأنّا قد عُرِّضنا لأمرٍ لا تقوم له الجبال الشوامخ، ولا الأرض العريضة، ولا السماء الرفيعة، ولا البحار الواسعة، وحُمِّلنا أمرا أشفقتْ من حمله السموات والأرض[1]، وخلقت لنا النار التي لا مِثْل لعذابها، ووعدَ الله تعالى أن يملأها منا ومن الجن، قال الله تعالى: ﴿**لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ [السجدة: ١٣].

[حال أهل النار]

فكيف حال من تشتعل النار في جسده كله؟ وكلما نضج جلده بُدِّل جلداً غيره، قال الله تعالى: ﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذابَ إنَّ الله كان عزيزاً حكيما**﴾ [النساء: ٥٦] ويسحب في جهنم على وجهه[2]، قال الله تعالى: ﴿**يطوفون بينها وبين**

(١) قال تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا﴾، الأحزاب: ٧٢.

(٢) قال تعالى: ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مَسَّ سقر﴾، القمر: ٤٨.

حميم آن﴾ [الرحمن: ٤٤] ويصب -أي الحميم- من فوق رأسه، فيصهر به ما في بطنه[1]، وينزع عنه جلده، ثم هو في نار تشتعل في جسمه ووجهه، ثم لا غاية لعذابها، ولا يفتر عنهم، ولا يرجون منها فرجا، قال الله تعالى: **﴿إنَّ المجرمين في عذاب جهنم خالدون ۞ لا يُفَتَّرُ عنهم وهم فيه مُبْلِسُون ۞ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ۞ ونادوا يا مالكُ ليقضِ علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾** [الزخرف: ٧٤-٧٧]. لا يُرحمونَ إنْ بكوا، ولا يُعذرون إن شكوا، ولا يُجابون إن دعوا، ولا يعتبون إن استعتبوا، قال الله تعالى: **﴿وإنْ يَستعتبوا فما هم من المعتبين﴾** [فصلت: ٢٤].

ويروى أن عمر - رضي الله عنه - مَرَّ بكثيب من رمل، فقال: (مساكين أهل النار، لو علموا أنهم إذا لبثوا في جهنم عدد هذا الرمل، أخرجوا منها، لكان لهم أمد يمدون أعناقهم إليه، ولكن لا غاية لهم).

ومَنْ كان حالُه هكذا، لا يأمن على نفسه أن يكون من أهلها، فحقه أن لا يَفْتُر من البكاء، ولا يستقر به قرار.

---

(١) الحج: ٢٠.

[الحذر من عذاب الله]

فكونوا - يا إخواني - على حذر، ولا تأمنوا وأنتم مُعرَّضون لهذا الخطر العظيم. وكان بعضهم -يعني السلف الصالح- يبكي كثيراً، فقيل له في ذلك، فقال: والله لو توعدني ربي أن يسجنني في الحمّام إنْ أنا عصيته، لكان حقي أنْ لا أفتر من البكاء، وكيف وقد توعدني أن يسجنني في النار.

واعلم - يا أخي - أن الذي خاف منه أولئك نحن مثلهم فيه، بل أحقّ به منهم، فما الذي يؤمننا دونهم.

[فضائل الأعمال]

واعلموا - رحمكم الله تعالى- أنَّ حُسْنَ الخُلُقِ أثقل ما يوضع في الميزان، وأنه يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم[1].

وأنَّ مَنْ وصل رَحِمَهُ وَصَلَهُ الله تعالى، ومن قطعها

---

(١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة" رواه الترمذي رقم (٢٠٠٣) و (٢٠٠٤) في البر والصلة، وأبو داود رقم (٤٧٩٩).

قطعه الله تعالى[1].

وأن أفضل الأعمال الصلاة لوقتها، وإكمالها وإتمامها على وجهها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله[2].

وإن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه[3]، وأن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد[4]، وملاكُ الأمر الدعاء، فإن الأمور كلها بيد الله تعالى، يهدي من

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الرحم شجنة من الرحمن فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته" رواه البخاري رقم (٥٩٨٨) و (٥٩٨٩). شجنة بكسر الشين ويجوز فتحها وضمها وأصله عروق الشجر المشتبكة.

(٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: الصلاة لوقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قال: حدثني بهن، ولو استزدته لزادني. متفق عليه (مشكاة المصابيح مع التعليق الصبيح ١/٢٦٤).

(٣) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله" رواه الطبراني وغيره وهو صحيح كما في جامع الأصول (٦/٥٥٢).

(٤) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه، والبيهقي في شعب الإيمان عن علي رضي الله عنه، ورمز السيوطي لضعفه. (الجامع الصغير للسيوطي ٢/٤٩).

يشاء ويستعمله، ويذل من يشاء ويخذله.

[الالتجاء إلى ا لله]

فينبغي للإنسان أن يرغب إلى مَن الأمرُ بيديه، ويفوض الأمر إليه، وليكن دعاؤك أيها الإنسان بخضوع وخشوع وبكاء وتضرع، فإن بعضهم، قال: إني لأعلمُ حين يستجيب لي ربي إذا وَجَلَ قلبي، واقشعر جلدي، وفاضت عيناي، وفتح لي في الدعاء.

وفَوِّضْ أمرك إلى ا لله تعالى، وانطرح بين يديه، وأشْعِرْ قلبكَ أنه لا ينالك من الرزق والخير إلا ما كتبَ ا للهُ لك، ولو اجتهدت بحيلةِ مَنْ في السموات والأرض، ولا يجري مما تَكرههُ إلا ما كتبَ ا للهُ عليك[1]، ولو اجتمع عليك مَنْ في السموات والأرض، وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

---

(١) عن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال: كنت خلف رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يوما، فقال: "يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ ا لله يحفظك، احفظ ا لله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل ا لله، وإذا استعنت فاستعن با لله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه ا لله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه ا لله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف" رواه الترمذي رقم (٢٥١٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

واعلمْ أن مَنْ هو في البحر على لوحٍ ليس بأحوجَ إلى الله وإلى لُطْفِهِ ممن هو في بيته وبين يديه ماله، فإن الأسباب التي ظهرت له بيد الله تعالى، كما أن أسباب نجاة هذا الغريق الذي لا يُعْلَمُ له سببُ نجاةٍ غير الله عز وجل.

وعليك - يا هذا - بالورع واجتناب الشبهات، فإن مَنْ واقع الشبهات أوشكَ أنْ يقع في الحرام، فإنَّ مَنْ رتع حول الحِمى أوشك أن يخسر(١).

[خلوة العبد بربه في جوف الليل]

وعليك بالليل فاخْلُ فيه بربك، واطلبْ منه حوائجك، وتَضرَّعْ إليه، واخضع بين يديه، فإنه يروى أن رجلاً قال: أتيت بِشْراً(٢) - يعني الحافي- فقال: ما جاء بك؟ قلت:

---

(١) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينها مشبهات، لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله محارمه. ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" رواه البخاري رقم (٥٢) كتاب الأيمان، ومسلم رقم (١٥٩٩).

(٢) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن المشهور بالحافي، أبو نصر المروزي، ولد سنة ١٥٢ هـ. له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال

مسألة، قال: ما هي؟ قلتُ: رجلٌ عليه دَيْنٌ كثير، لا سبيلَ له إلى قضائه، فقال: عليك بجوف الليل. فأتيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل[1] فسألته، فقال: عليك بجوف الليل، قال: فدلاّني جميعاً عليه[2].

وإذا سألتَ الله فاسأله وأنت موقنٌ بأنه مُطَّلعٌ عليك، سامعٌ لدعائك، قريب منك، قادر على إجابتك، لا يتعاظمه

الحديث. توفي سنة ٢٢٧ هـ. (سير أعلام النبلاء ٤٦٩/١٠، والأعلام ٥٤/٢).

(١) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن أسد الشيباني المروزي، نزيل بغداد، أبو عبد الله، أحد الأئمة، ثقة، حافظ، فقيه، حجة، مات سنة ٢٤١ هـ وله سبع وسبعون سنة (التقريب ٢٤/١).

(٢) قال تعالى: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾، آل عمران: ١٧، وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفرُ له". وعن عمرو بن عبسة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن ذكر الله في تلك الساعة فكن". رواه أبو داود رقم (٨٧٥) والترمذي رقم (٣٥٧٤) واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

شيء[1]، وإذا سألته أمراً فاسأله الخيرة فيه[2]، فإنك لا تدري ما يكون لك فيه الخير، وإذا شاء ا لله تعالى أعطاك رغبتك، وخار - أي اختار - لكَ في ذلك، فيجمع لك فيه بين الأمرين، فإنْ لم يعجلْ لك فيه الإجابة، فلا تيأسْ من الإجابة، ولا تملَّ من السؤال. فقد روي: أن بعضهم قال: "لقد خار ا لله لعبدٍ في حاجة أكثر فيها تَضَرُّعَهُ".

واعلمْ أن ا لله تعالى إذا نظر إليك، وعلم أنك جعلته معتمدك وملجأك، وأفردته بحوائجك دون خلقه، أعطاك أفضل مما سألته، وأكرمك بأكثر مما أردته، فإن عجل لك الإجابة، فقد جمع لك بين قضاء الحاجة وخير الآخرة، وإن

---

(١) قال تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾، البقرة: ١٨٦، وقال تعالى: ﴿ادعوني استجب لكم﴾، غافر: ٦٠، وقال صلى ا لله عليه وسلم: "إذا دعا أحدُكم فَلْيُعظِمِ الرغبة؛ فإن ا لله لا يتعاظَمُهُ شيء" رواه ابن حبان في حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه، وقال صلى ا لله عليه وسلم: "يُستجابُ لأحدكم ما لم يَعجلْ فيقول: قد دعوتُ فلم يُستجبْ لي. فإذا دعوت فاسأل ا لله كثيرا فإنك تدعو كريماً" متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(٢) أي خير الأمرين وأصلحهما فإن الخيرات كلها من خيرته جل وعلا.
عن أبي بكر رضي ا لله عنه، أن النبي صلى ا لله عليه وسلم كان إذا أراد الأمر قال: "اللهم خِر لي واختر لي". رواه الترمذي رقم (٣٥١٦) وضعفه، وأخرجه البغوي في شرح السنة رقم (١٠١٧).

لم يجبك عاجلاً، فقد عَوَّضكَ عن ذلك خيراً، فأنتَ على خير من الحالين[1].

[صلاة الحاجة]

واسترحْ إلى مناجاته، وتَلذَّذْ بعبادته، وإذا كانت لك حاجة، فاركع ركعتين، واثن على الله عز وجل، وصلِّ على النبي، صلى الله عليه وسلم، ثم قل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العظيم، سبحان الله رب العرش الكريم، الحمد لله رب العالمين، أسألك مُوجباتِ رحمتك، وعزائِمَ مغفرتك، والغنيمة من كل بِرّ، والسلامةَ من كل إثم. اللهم لا تَدَعْ لي ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فَرَّجته، ولا حاجةً هي لكَ فيها رِضىً، إلا قضيتَها يا أرحمَ الراحمين[2].

---

(١) روى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من مؤمن ينصب وجهه لله عز وجل، يسأله مسألة، إلا أعطاه إيَّاها إمَّا عجَّلها له في الدنيا، وإما ادخرها له في الآخرة، ما لم يعجل، قالوا: وما عَجَلَتُهُ؟ قال: يقول: دعوت، دعوت، فلا أراه يستجاب لي". (شأن الدعاء لأبي سليمان الخطابي رقم ٩).

(٢) الحديث عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، أخرجه الترمذي رقم (٤٧٩) باب ما جاء في صلاة الحاجة، وقال: حديث غريب، وفي إسناده

وإنْ شئتَ قلت: اللهم إني أسألك أن تقضي حاجتي.

ورُوي أن بعض السلف كانوا يستنجحون حوائجهم بركعتين يصليها، ثم يقول: "بكَ أستفتح اللهمَّ، ذَلِّلْ لي صعوبةَ أمري، وسَهِّلْ لي حزونته، وسهل لي من الخير أكثر مما أرجو، واصرفْ عني من الشر أكثر مما أخاف"

[صلاة الاستخارة]

وإذا أردتَ أمراً فاستخِرْ فيه الله، وصَلِّ ركعتين من غير الفريضة، ثم قل:

"اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدرُ ولا أقدر، وتعلمُ ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إنْ كنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمر -ويُسَمِّيه- خيرٌ لي في ديني ودنياي، ومَعَادي ومعاشي، وعاقبة أمري -أو قال: في عاجلِ أمري وآجلهِ-، فاقْدُرهُ لي، ويَسِّرهُ لي، ثم باركْ فيه، وإنْ كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسميه - شَرٌّ لي في ديني ودنياي، ومعادي ومعاشي، وعاقبة أمري، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقْدُرْ

مقال، لأن قائد بن عبد الرحمن يضعف في الحديث. وقائد هو أبو الورقاء. ورواه ابن ماجة رقم (١٣٨٤) والحاكم (١/٣٢٠).

لِيَ الخيرَ حيثُ كان، ثم رَضِّني به(١).

[همّ المؤمن في الدنيا]

وليكن هَمُّكم في هذه الدنيا، التقرُّب إلى رَبِّكم الكريم، وطلب فضله العظيم، والاجتهاد في الدخول في أوليائه الذين يحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، الذين اختارهم لنفسه، وأكرمهم بولايته، وأوقفهم على بابه، وشَغَلهُمْ به، وعَلّقَ قلوبهم بمحبته، وشَغَلَ ألسنتهم بذِكرِه، وجوارحهم بطاعته، لا يلتفتون إلى ما سواه من دنيا ولا غيرها.

[الدنيا متجر الأبرار]

واعلموا - رحمكم الله- أن هذه الدنيا سوقُ متجرِ الأبرار، وحَلَبةُ السباق بين الكرام والأحرار، ومزرعُ التقوى ليوم القرار، ومحل تحصيل الزاد للسفر الذي ليس هو كالأسفار، فبادروا - وَفّقنا الله تعالى وإياكم- قبل فوات إمكان البدار، واغتنموا أوقاتَكم وأنفاسَكم العظيمةَ المِقدار، واذْرُوا من دموعكم على ما سَلَفَ من تفريطكم، فإنَّ

(١) حديث الاستخارة رواه البخاري في الدعوات رقم (٦٣٨٢)، وأبو داود رقم (١٥٣٨)، والترمذي رقم (٤٨٠)، والنسائي رقم (٤٩٨) في اليوم والليلة، وفي المجتبى (٦/٨٠-٨١). ومعنى (فاقدره لي) أي اجعله مقدوراً لي، أو قدره، وقيل معناه يَسِّره لي.

القطرةَ من الدموع من خشية الله تعالى تطفي البحورَ من النار، وخصوصاً أوقات التجلي في الأسحار، وفقنا الله تعالى وإياكم للعلمِ والعمل، وأصلح منا ومنكم ما كان من خَلَل، ولطفَ بالجميع يومَ الخوف والوَجَل، بمنه وكرمه، آمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وهذا آخر ما أردتُ نقله من هذه النصيحة العامة، للخاصة من الناس والعامة، وذلك في غرة شهر صفر الخير والبركة، سنة ١٣٠٦هـ السادسة بعد الثلاثمائة والألف، بقلم الأقل عبد الله ابن أبي بكر، عفا الله تعالى عنهم، وعن والديهم وذراريهم، والمسلمين، بمنّه وكرمه، آمين.

الفهـــرس

تقديم بقلم الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله الملا	أ
مقدمة التحقيق	هـ
ترجمة موجزة للمؤلف	ح
مقدمة المؤلف	١
الدنيا مزرعة الآخرة	٣
حديث ابن مسعود في أرواح الشهداء	٣
أحوال بعض السلف، قول إبراهيم التيمي	٤
أمنية أهل القبور	٥
اغتنام الوقت	٦
ما ينبغي أي يكون عليه حال المؤمن	٧
التفكر في آلاء الله	٧
وظيفة لسان المؤمن	٧
الحذر من مفسدات الأعمال	٨
الرياء	٨
العجب	٩
احتقار المسلم	١٠
مخالفة السنة	١١
قول أبي سليمان الداراني	١٢

مراقبة العبد ربه في السر والعلن ١٣
استحالة معصية الله باستبعاد نعمه ١٣
ستر الله على العاصي ١٤
جواب إبراهيم بن أدهم لمن قال له: إني لا أصبر عن المعاصي ١٤
المبادرة إلى التوبة ١٦
كتاب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله ١٧
الأمانة التي كلف العبد بحملها وما يترتب عليها ١٨
حال أهل النار ١٨
بيان سيدنا عمر رضي الله عنه في حال أهل النار ١٩
الحذر من عذاب الله ٢٠
فضائل الأعمال ٢٠
فضل حسن الخلق ٢٠
فضل صلة الرحم ٢٠
أفضل الأعمال ٢١
أوثق عرى الإيمان ٢١
الإلتجاء إلى الله ٢٢
التسليم لأمر الله ٢٢
الورع واجتناب الشبهات ٢٣
خلوة العبد بربه في جوف الليل ٢٣

ما ينبغي أن يكون عليه الداعي	٢٥
صلاة الحاجة	٢٦
الإعتماد على ا لله	٢٧
صلاة الاستخارة	٢٧
همّ المؤمن في الدنيا	٢٨
الدنيا متجر الأبرار	٢٨
الفهرس	٣٠